مستقبل تركيا في عيون غربية بعد فشل الانقلاب

■ حميدي العبدالله

المحللون ومراكز الأبحاث الأميركية يجمعون على أنّ ما ينتظر تركيا بعد الانقلاب الفاشل ليس الاستقرار وازدهار الديمقراطية، بل شيئاً آخر.

محللون أميركيون قالوا أثناء مواكبتهم للعملية الانقلابية، «إنّ تركيا حليفة الولايات المتحدة، ستواجه من الآن فترة اضطراب سياسي واقتصادي».

الخبير في مركز «بيباريتسان بوليسي» بليز ميزال قال: «من المنظور الأميركي فإنّ أسوأ السيناريوات هو انقلاب فعّال يدفع تركيا إلى صراع طويل على السلطة» هذا في السيناريو الأول، أما في السيناريو الثاني حسب ميزال فإنّ «انقلاباً يجهض سريعاً ويلقى مقاومة ضعيفة سيؤدّي إلى زعزعة الاستقرار»، والسيناريو الثالث «فإنّ انقلاباً جزئياً أو غير ناجح سيؤدّي إلى اضطراب أكثر في المستقبل» القاسم المشترك في السيناريوات الثلاث حسب ميزال أنّ تركيا لن تشهد استقراراً في المستقبل.

الاختصاصي في الشؤون التركية والخبير في «معهد واشنطن» «سونر جاغابتاي» يرجح أربعة توقعات تبدو كنتيجة محتملة لتحوّل «تركيا إلى دولة أكثر قمعية» حيث أنّ «ذلك خبر سيّئ للديمقراطية» يقول الباحث بشأن توقعه الأول سيجد خصوم أردوغان «أنه من الصعب على نحو متزايد، إنْ لم يكن من المستحيل، معارضة ديمقراطية. وسوف يختار البعض أن يكونوا عنيفين، وأن يتحوّلوا نحو الجماعات المتطرفة مثل حزب العمال الكردستاني وجماعات غير مقدّسة مماثلة» أيّ أنّ قمع المعارضين الذي تصاعد بعد فشل حزب العدالة والتنمية في انتخابات حزيران 2015 سوف يتفاقم ويسدّ الطريق على الرهان على صناديق الاقتراع، وبالتالي اللجوء إلى العنف. ثاني التوقعات ينصبّ على وضع الجيش، يقول الخبير جاغابتاي «مما يثير نفس القدر من القلق على استقرار البلاد هو أنّ محاولة الانقلاب شملت قسماً من الجيش فقط، مما يشير إلى وجود انقسامات خطيرة في مؤسسة حافظت على تضامنها في ظل الانقلابات السابقة» والأخطر بالنسبة له أنّ ذلك يمثل «ضربة جديدة لتماسك الدولة والمجتمع» و«القضاء على الدعم الحكومي والشعبي للمؤسسة (أيّ الجيش) التي كانت ذات مرة الأكثر ثقة واتحاداً في تركيا». وذلك يأتي في ظلّ تحديات أمنية خطيرة في تركيا أبرزها مقاومة الأكراد، وتغلغل المنظمات الإرهابية، وعلى رأسها «داعش». التوقع الثالث قناعة المحلّل والخبير في الشؤون التركية أنّ «محاولة الانقلاب سوف تسفر أيضاً عن تعميق التصديات الاجتماعية في تركيا، وزيادة التحوّل نحو فترة التسعينات» حيث كان التقاتل الأهلي بين الجماعات السياسية المختلفة في تركيا. ولكن التوقع الرابع هو الأكثر خطورة ويتمثل في «التكلفة التي تلوح في الأفق» وهي «مواصلة تقسيم تركيا».

واضح أنّ ما ينتظر تركيا ليس ازدهار الديمقراطية والاستقرار والنمو الاقتصادي.

يبقى التاريخ فيهم والجغرافيا الآشوريون ثابتون في أرضهم... وما رحلوا

■ رولا عثمان*

في قرى الشرق، والشمال الشرقي من سورية، يتواجدون بحضارتهم القديمة قدم التاريخ. بقوا، وسيبقون، وفي كثير من البلدات المنسية الباقية أبداً كدحوا، صارعوا للبقاء، زرعوا الأرض، وسقوها من مياه الخابور بلا كلل ولا ملل، وكانت لبعض الصناعات الخفيفة والحرف، أهمية في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى تجارة محلية.

حياتهم الريفية جميلة، بسيطة. لم يكن هنالك فرق بين الآشوري والكلداني والسرياني، وهم المكوّن الرئيسي لتلك المنطقة، مع اخوتهم في الوطن من الطوائف والاتنيات الأخرى، فكلهم سوريون، تجمعهم محبة أرضهم. كانت تنقلاتهم الكثيرة عبر عقود من بابل، الموطن الأصلي للآشوريين، إلى الحسكة والقامشلي (نصيبين الجديدة) التي كان أكثر من 95%من سكانها من السريان.

كذلك، رأس العين (ريش عينو) التي كانت مقراً لكراسي عدة مطارنة، وتخرّج منها فلاسفة يحملون اسم المدينة مثل الراسعيني، وريشعينو. أيضاً دير الزور (دير زعور) أيّ «الدير الصغير»، التي التجأ إليها الآلاف من الأرمن والسريان عام 1914 هرباً من مذابح العثمانيين، وبعدها إلى حلب.

تحوّلت الأكثرية المسيحية إلى أقلية خلال الفترة الماضية بسبب هجوم «داعش» في الثالث والعشرين من شهر شباط عام 2015 على قرى الخابور، فهجر سكانها الآشوريون إلى الحسكة والقامشلي، وقسم كبير إلى بلدة تل تمر بعد اختطاف أكثر من أربعمئة من الآشوريين الذين تمّ احتجازهم لأكثر من عام، وطلبت «داعش» فدية مقابل إطلاق سراحهم. وقد نشر فيديو إعدام ثلاثة منهم على «يوتيوب»، وتمّ إطلاق سراح عدد منهم بدفع فدية جُمعت من تبرّعات المغتربين، رغم ذلك، أبقى «داعش» على فتاتين بحجة أنهما زوجتا الأمير، وعدد من المفقودين لم يعثر عليهم حتى الآن.

ومن ثم أقامت وحدات حماية الشعب الكردي مواقع تدريب في عدة قرى من وادي الخابور التي كان يسكنها الآشوريون الذين فرّوا من منازلهم على أثر هجوم «داعش». ووفق مصادر سريانية، فإنّ أكبر معسكر تدريب أقيم في قرية تل نصري. عادت خمس عائلات من أصل مئة وثمانين عائلة إلى منازلها بعد انسحاب «داعش» من وادي الخابور.

أكدت وحدات حماية الشعب الكردي أنه سيتمّ احتلال القرى للوقت الحالي فقط لهدف التدريبات العسكرية، لكن الانطباع السائد داخل المجتمع الآشوري المحلي أنّ هذا الوعد لن يتحقق في فترة قصيرة من الزمن.

يقول سرغون، وهو من من قرية (...): اضطررت للسفر، وإبعاد عائلتي عن الخطر. سلاحي كان بارودة روسية اشتريتها من مالي الخاص مثل كلّ الآشوريين المدافعين عن قراهم. نحن لسنا مدعومين بالسلاح الثقيل كالأكراد، وهنالك الكثير من العائلات التي هاجرت إلى أميركا وأستراليا وكندا. أما أنا، وبحكم أنه ليس لديّ أقارب في تلك الدول، أتيت، بطريقة غير شرعية، إلى ألمانيا مع عائلتي.

هنالك عدد كبير من الشباب الذين انضمّوا إلى القوى الرديفة للجيش السوري، ومنهم من استشهد أثناء تأديته لخدمته الإلزامية في ريف دمشق وحلب.

أصدقائي في لبنان قدّموا أوراقهم للهجرة بواسطة الكنيسة الآشورية منذ تسعة أشهر، وهم ينتظرون الردّ، وبعضهم وصل بأمان إلى البلد المستضيف.

المخاطر كبيرة، والآشوريون باقون لأنهم الأمّ والأب وعبق التاريخ السوري.

*كاتبة سورية

تفجير القامشلي

- التفجير الضخم الذي هزّ مدينة القامشلي وأودى بحياة قرابة المئة شهيد وأعلن تنظيم «داعش» مسؤوليته عنه يشكل التعبير عن يقين قيادة «داعش» بدخول المرحلة الحاسمة من الحرب الوجودية.
- اللجوء إلى قتل يشبه حرب الإبادة لا قضية له في المعادلات العسكرية سوى القول بأنّ النصر على «داعش» سيكون مكلفاً على مستوى الضحايا بين المدنيين طالما بات مستحيلاً منع وقوعه.
- لجأ تنظيم «داعش» في السابق إلى استخدام انتحاريّيه في الحرب لاقتحام مواقع حصينة وفتح الطريق لجسمه المقاتل إليها.
- بعض عمليات «داعش» الإنتحارية استهدفت اغتيالات لرموز أو ضرب لمراكز حيوية رمزية إما معنوياً أو عسكرياً، وهذه كلها تكتيكات تنمّ عن حساب عسكري.
- لجوء «داعش» إلى علميات ضدّ المدنيين كان يتمّ لإيصال رسائل للمدنيين بأنّ تبنيهم للدولة السورية أو لأيّ جهة سياسية مناوئة سيكون مكلفاً، فكان من ضمن سياق الحرب وفقاً لطريقة «داعش» التي لا تقيم حساباً للمدنيين.
- ما جرى في القامشلي مختلف، فالبيئة المستهدفة لا يمكن لداعش الرهان على استمالتها ولا على خروجها من خيارها السياسي العسكري المعتمد من الأغلبية الكردية.
- حرب إبادة...

التعليق السياسي

مقاومان من الشمال والجنوب

■ معن بشّور*

سيّد مقاوم

قبل عام 1982، عام الغزو الصهيوني للبنان، كان اسم النائب السابق، والمربّي الكبير، والشاعر والأديب السيّد جعفر شرف الدين (الذي ودّعناه في مثل هذا اليوم قبل 15 عاماً)، مرتبطاً باسم والده المرجع الإسلامي الكبير سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الذي دعا عام 1920 (عام ولادة السيد جعفر)، إلى مؤتمر وادي الحجير (الذي بات معروفاً بأنه مقبرة دبابات العدو الصهيوني في حرب تموز 2006 على يد المقاومة)، حيث أعلن المجتمعون رفضهم للانتداب الفرنسي ورغبتهم بالوحدة بين لبنان وسورية...

ثم بات اسم السيد جعفر شرف الدين (أبو محمد) في الخمسينيات والستينيات مرتبطاً بالكلية الجعفرية في صور التي تخرّج منها آلاف الشباب الوطني والقومي (من بعثيين وقوميين عرب وشيوعيين)، وخرجت من باحاتها المسيرات والمظاهرات المندّدة بسياسة الأحلاف (حلف بغداد) والمشاريع الاستعمارية (مشروع أيزنهاور)، والتي كانت قاعدة من قواعد استقبال الاخوة الفلسطينيين بعد نكبة عام 1948، وإحدى نقاط الارتكاز للانتفاضة الوطنية الكبرى عام 1958، والتي توجّهت منها قوافل السيارات والباصات وعلى رأسها السيد جعفر إلى دمشق للترحيب بالخالد الذكر جمال عبد الناصر بعد قيام الوحدة السورية – المصرية في شباط 1958، إلى أن انتخب أهل صور جعفر شرف الدين نائباً عن منطقتهم عام 1960، ولثلاث دورات انتخابية متتالية...

بعد غزو 1982، واحتلال أراض واسعة من لبنان وصولاً إلى احتلال العاصمة بيروت، وقيام المجاهد الاستشهادي احمد قصير (رحمه الله) بتفجير مقرّ الحاكم العسكري الصهيوني في صور وقتل أكثر من 150 عسكرياً صهيونياً في 11/11/1982، وتصاعد عمليات المقاومة الوطنية والإسلامية بدءاً من العاصمة وصولاً إلى كلّ المناطق المحتلة، بات السيد جعفر، وهو ابن الثانية والستين من عمره يومها، واحداً من أبرز وجوه العمل السياسي والثقافي المقاوم، فصدح صوته في المنابر الثقافية والوطنية، وعلا رأيه في المنتديات واللقاءات والتجمّعات والمهرجانات الوطنية بدءاً من المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، وصولاً إلى قاعة جمال عبد الناصر في جامعة بيروت العربية، مروراً بدار الندوة، والحركة الثقافية في انطلياس، متصدّياً بشجاعة مميّزة، لا للاحتلال الإسرائيلي فحسب، بل أيضاً لمنطق التخاذل والاستسلام والانقسام الذي بات البعض يروّج له وصولاً إلى اتفاق العار والإذعان المعروف بـ17 أيار...

في زمن الحرب والانقسام كان السيد جعفر السباق في التجاوب مع كلّ مشروع يسعى لتجسيد الوحدة بين اللبنانيين، فكان شريكاً في إطلاق «دار الندوة» وفي تسميتها، ومؤسّسها في برنامج «شباب لبنان الواحد»، واميناً في مجلس أمناء المنتدى القومي العربي منذ تأسيسه عام 1992.

وحين كرّمه المنتدى في عرينه العاملي، «الجعفرية»، كانت عينا السيد الجليل طافحتين بالدموع وهو يستمع إلى كلمات لقادة وشخصيات آتين من كلّ لبنان يذكّرون بعطائه الإنساني والتربوي والثقافي والنضالي الذي لم يتوقف يوماً واحداً، معلناً أن لا شيء يعوّض عليه كلّ سنوات نضاله وعطائه إلاّ أن يرى الجنوب كله محرّراً.

وهكذا كان، فبعد عام ونيّف على التحرير في أيار/مايو 2000، ترجل الفارس العاملي عن صهوة جواده، ليلتحق بمن سبقه من الشهداء من أجداده آل البيت، إلى تلامذته أبناء جبل عامل الذي بات مقبرة للغزاة.

لك الرحمة يا سيّد... كنت رجل المقاومة والعروبة والوحدة الوطنية والعربية والإسلامية.

****

أحمد الصوفي... الرائد في المقاومة

أربعون عاماً مضت على رحيل المناضل المميّز أحمد الصوفي، ابن طرابلس الأبية الشامخة، القيادي السابق في حزب البعث، والرمز المؤسّس في تجمّع اللجان والروابط الشعبية.

أمضى «أبو الصوف» أكثر من ثلثي عمره القصير، الذي لم يتجاوز يوم وفاته الأربعين عاماً، في ساحات النضال الشعبي في طرابلس ولبنان، مواجهاً «لإحتكار قاديشا» الكهربائي، مناضلاً دون هوادة إلى جانب المظلومين والمضطهدين من أبناء مدينته ومنطقته، تحت راية العروبة الجامعة وفلسطين البوصلة...

بعد هزيمة العرب عام 1967، كان أحمد الصوفي أحد قادة اللجان الشعبية لمقاطعة البضائع الأميركية، وأحد مؤسسي لجان دعم المقاومة الفلسطينية، حتى انخرط مع رفاقه في العمل الفدائي الفلسطيني فحشد المتطوّعين وأشرف على تدريبهم في مخيمات الشمال (البارد، والبداوي)، وعلى إيصال العشرات منهم إلى الأردن قبل 1970، وإلى العرقوب في سنوات ما قبل الحرب اللعينة في لبنان (1975)، فاستحق أن يكون قائداً في الثورة الفلسطينية من خلال دوره في جبهة التحرير العربية، وقائداً في الحركة الوطنية والشعبية اللبنانية من خلال دوره القيادي في حزب البعث، ثم من خلال دوره التأسيسي في تجمع اللجان والروابط الشعبية.

في 12 أيار 1970، وفي واحدة من أولى الغزوات الصهيونية لجنوب لبنان، جرت معركة في الهبارية (العرقوب) بين المقاومين اللبنانيين والفلسطينيين والعرب وبين العدو الصهيوني، استشهد فيها ثلاثة من أبناء طرابلس من تلامذة أحمد الصوفي (أحمد هوشر، محمد ديب الترك، سمير حمود)، ومعهم رفيقهم العراقي ابن الموصل (صقر البعث) فكانوا من أوائل رموز البعد اللبناني والعربي للثورة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الأخضر العربي (أمين سعد)، وحسين علي قاسم صالح شبلي (ابن كفر شوبا)، وواصف شرارة قبل 1970، ومع علي وفلاح وعبد الله شرف الدين ومحمود قعيق وعبد الأمير حلاوي (أبو علي) وغيرهم بعدها...

كان أحمد الصوفي نموذجاً للمناضل الجامع بين القضية الاجتماعية والحياتية والقضية الوطنية والقومية، بين الوعي السياسي والالتزام الأخلاقي والإنساني، بين الشجاعة المتألقة والتفاني الكامل في خدمة شعبه وأمّته.

كنت تراه يقود في الشارع الطرابلسي حملة مقاطعة احتكار شركة الكهرباء، وفي الشارع البيروتي في حملة إدارة الأفران يوم إضراب الخبز، وفي الشارع الجنوبي في حملة الانتصار لمزارعي التبغ، فكان حاضراً في كلّ معركة على امتداد لبنان، وكان متفاعلاً مع كلّ قضية على مستوى الوطن العربي...

وأذكر أنه في كل مرّة، مع بداية الحرب في لبنان، تحدث تطورات في طرابلس أو الشمال، كان الرئيس الشهيد ياسر عرفات يسألني: ما رأي الأخ أحمد؟ فقد كان القائد الفلسطيني يدرك أنّ أحمد الصوفي بالتصاقه بالناس يدرك نبض الشعب وأنه من النوع الذي لا تحرّكه سوى مصلحة شعبه وأمّته، ولا يسعى إلى جاه أو مال أو مكسب شخصي...

حين عاجله مرض عضال في صيف 1975، كان يرفض الإقامة في المستشفى، بل يصرّ أن يتوجه إلى حيث هناك معركة أو مواجهة دفاعاً عن مدينته ووطنه وقضاياه، ولو استغرق الأمر يومها ساعات طويلة من السفر والعناء...

أجمل ما في هذا المناضل الصلب هو علاقته بالأطفال، الذين لم يكن يرى فيهم المستقبل فحسب، بل يرى في براءتهم ما يغسل نفسه من أدران الواقع الذي يعيشه اللبنانيون.

وحتى في لحظات الوداع الأخيرة... لم تفارق البسمة وجه «أبو الصوف» المضيء... بل كان يردّد دائماً... «انتبهوا للشباب... انتبهوا للقضية...» «أبو الصوف»... كم نفتقدك... رغم مرور السنين.

*المنسّق العام لتجمّع اللجان والروابط الشعبيّة

في الذكرى العاشرة لحرب تموز 2006 ③

الإعلام والحرب النفسية والسيد نصرالله

■ رامز مصطفى

الحرب العسكرية على قسوتها وضراوتها وعنفها ورهبتها، تبدو أمام الحرب الإعلامية والنفسية هي الأسهل، لسبب بسيط أنّ على سلاح الإعلام والحرب النفسية تترتب نتائج الحرب العسكرية نصراً أو هزيمة. ومن المؤكد أنّ النتائج السياسية لأية حرب هي التتويج لهذا الانتصار وتلك الهزيمة. من هنا إنّ المقاومة استخدمت سلاح الإعلام والحرب النفسية بجدارة منقطعة النظير، كانت تسير جنباً إلى جنب مع إبداعات المقاومين في الميدان، في تكامل مبدع ومذهل في آن. ومن أجل إسكات صوت وصورة المقاومة، كانت الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة التابعة لحزب الله هدفاً استراتيجياً لآلة العدوان «الإسرائيلية» في حرب تموز 2006. فقامت طائراتها بقصف حاقد لقناة «المنار» وإذاعة «النور»، وطاردت أعمدة الإرسال على امتداد المناطق اللبنانية، من الجنوب إلى بيروت والجبل والبقاع والشمال. ورغم ذلك نهضت قناة «المنار» وإذاعة «النور» من تحت الركام ولم ينقطع بثهما ولو للحظة واحدة. وهذا ما أفقد العدو صوابه، لإدراكه أنّ سلاح الإعلام أحد ركائز المعركة ومن ثم الانتصار. وهو كان يخشى أن تُنقل صور الهزيمة التي تتدحرج وتكبر ككرة الثلج، إلى الجمهور «الإسرائيلي»، الذي لم تكن تنقصه هذه المشاهد للدبابات وهي تحترق في وادي الحجير، على سبيل المثال. لأنّ هذا الجمهور يشاهد صواريخ المقاومة وهي تمرّ من فوق رأسه وهي متجهة إلى أهدافها. ومن ركائز المعركة الاستراتيجية في التصدّي لحرب الكيان الصهيوني على لبنان 2006، كانت الحرب النفسية التي خاضتها المقاومة ضدّ العدو وقواته المتسللة إلى لبنان.

هذه الحرب التي تولاها مباشرة سيد المقاومة وقائدها السيد نصرالله ونجح فيها بشكل مبهر ومبدع، لما يتمتع به من مواصفات قلّ نظيرها. فهو ببساطة الإنسان، وقدرة القائد الواثق بأهله وجنوده المقاومين، وكاريزما حضوره وبراعة شخصه، وقوة منطقه وصدق كلماته. «الإسرائيليون» قالوا عنه أنه أبو الحرب النفسية، والمزاج العام في الكيان يعتبر السيد نصرالله أكثر مصداقية من قياداته السياسية والعسكرية. كيف لا وهم أيّ «الإسرائيليون» ومنذ انتصار العام 2000، يدركون أنّ ما قاله السيد نصرالله في خطاب الانتصار في بنت جبيل «أنّ إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت» قد فعل فعله في تهوين وكيّ وعي هؤلاء «الإسرائيليين» وقادتهم. وعندما قال لهم: «لقد ولّى زمن الهزائم». وقد اعتمد السيد نصرالله في كل إطلالته التلفزيونية خلال الحرب في توجيه رسالتين، الأولى للمقاومة وجمهورها، بأنّ عليكم الثبات والصمود والصبر، والنصر صبر ساعة. والثانية إلى العدو وجنوده وجمهوره بهدف كيّ وعيهم، بأن لا أمل في بقائكم على أرض فلسطين، وقياداتكم يكذبون عليكم، ولا يجرؤون على مصارحتكم. وعلى أهمية هذا الخطاب التعبوي، ولكن ليس بمقدور أيّ شخص أن يترك هذا الأثر البالغ في النفوس وفي الاتجاهين، لو لم يكن يتمتع بقدرات استثنائية مذهلة، دفعت خبراء في علم النفس داخل الكيان الصهيوني وفي العديد من الدول المهتمة وعلى رأسها أميركا، يعكفون على دراسة هذه الشخصية المؤثرة لدرجة أنها تستحوذ على العقول قبل القلوب.

ولعلّ من أهمّ ما خاضه السيد نصرالله في حربه النفسية وفي الاتجاهين، ومن خلال إطلالته ثلاث محطات. الأولى أنه كان واثقاً بالنصر، ولطالما ردّد أنني أعدكم بالنصر، وصدق في وعده ليس لأنه يتنبّأ ويقرأ في الطالع، بل لأنه يعرف حق المعرفة نوعية الرجال الذين أعدّهم والشهيد القائد المجاهد عماد مغنية.

والثانية عندما قال: «أنظروا إلى البارجة في عرض البحر، كيف ستدمّر وتحترق، وهكذا كان. والجميع شاهد هذه البارجة البحرية وهي تحترق».

أما الثالثة الرسالة البالغة الأثر، والتي وجهها إلى المقاومين في الميدان حين خاطبهم بتواضع القائد: «أنتم بعد الله تعالى الأمل والرهان، كنتم وما زلتم وستبقون الأمل والرهان، أقبل رؤوسكم التي أعلت كلّ رأس، وأقبل أياديكم القابضة على الزناد، يرمي بها الله تعالى قتلة أنبيائه وعباده والمفسدين في الأرض، وأقبل أقدامكم المنغرسة في الأرض، فلا ترتجفوا ولا تزولوا من مقامها ولو زالت الجبال»، وتابع: «يا إخواني يا من أعرتم الله جماجمكم، ونظرتم إلى أقسى القوم، جوابي لكم هو شكر لكم إذ قبلتموني واحداً منكم، وأخاً لكم، لأنكم أنتم القادة وأنتم السادة وأنتم تاج الرؤوس ومفخرة الأمة، ورجال الله».

خلاصة القول، إنّ ما حققته المقاومة وحزب الله من انتصار باهر يفخر به كلّ حرّ شريف في هذا العالم يناهض قوى الاستكبار العالمي وغدتها السرطانية على أرض فلسطين «إسرائيل»، التي تصارع منذ العام 2000 ومعها حلفاؤها وحماتها وداعموها، ومن يضخون فيها الاستمرار ككيان في واحات الإقليم ودوله. وهم وكرمى لعيونها، وتأمين مصالحهم أدخلوا المنطقة ودولها منذ أربعة أعوام في حروب طاحنة تحت مسمّى «الربيع العربي»، الذي يحمل الهواء الأصفر على حدّ وصف أحدهم، لتتكشف زيف دعواهم وما روّجوا له من شعارات «الحرية – وحقوق الإنسان – وإشاعة الديمقراطية والتعددية الخ...» حرب تموز عام 2006 بنتائجها وسياقاتها الميدانية التي أبدعت فيها المقاومة وحزب الله، أصبحت تدرّس في الكثير من الأكاديميات والكليات العسكرية، ومراكز الأبحاث والدراسات الإستراتيجية.

وأهمّ ما في هذه الحرب والانتصار فيها، وما سبقها في العام 2000 أنها قد شكلت بدء التهاوي الحقيقي والنزول عن الشجرة الواهية، التي بنت عليها الحركة الصهيونية كيانها الغاصب. «أبراهام بورغ رئيس الكنيست الإسرائيلي الأسبق» كان قد قال: «إنّ نهاية المشروع الصهيوني على عتبات أبوابنا. وهناك إمكانية حقيقية لأن يكون جيلنا آخر جيل صهيوني». وبدوره مسؤول وحدة الهجرة والاستيعاب في مركز الحكم المحليَ في الكيان ميخائيل جنكر كان قد صرح «هذه الحرب زادت من عدد المتقدّمين بطلبات لمغادرة إسرائيل»، ويتابع جنكر في تصريحه: «إنّ الحرب أدّت إلى زيادة الشعور بانعدام الأمن الشخصي والعام، والى خيبة أمل قوية من كيفية تصرف الدولة على الصعيدين، السياسي والعسكري».

مع حلول الذكرى العاشرة لبدء العدوان في 12 تموز 2006، وانتصار المقاومة في آب 2006، نقول لمن لا يزال يشكك ويريد الاستمرار في شيطنة المقاومة وحزب الله، عليكم أن تقلعوا عن المضيّ في أوهامكم، والتي هي في الأصل خدمة مجانية تقدّمونها للعدو الصهيوني. فما عجزت عن تحقيقه «إسرائيل» في ميدان الحرب، اليوم يحاول هذا البعض تحقيقه في حرب الشيطنة والتحريض البائس ضدّ المقاومة وحزب الله ووصمه بالإرهاب والمذهبية، وصاحب الأجندات الخارجية، والمتورّط في سورية.

انقلاب تركيا... ماذا بعد؟

■ رضا حرب*

لم يشهد التاريخ الحديث انقلاباً بهذا الحجم ولا بهذه النهاية السريعة. سيطرت قوات برية على اسطنبول وأنقرة وفصلت القسم الاوروبي عن الآسيوي بالسيطرة على الجسر المعلق الذي يربط القارتين، وحلقت مروحيات ومقاتلات سلاح الجو التركي على ارتفاعات منخفضة وفقاً لرواية مراسل «بي بي سي» البريطانية. فجأة اختفت وظهرت في الأجواء طائرات «اف16–» معادية للانقلابيين، سيطرت على الأجواء وهاجمت بعض المدرّعات التي أحكمت سيطرتها على مواقع ومؤسسات الدولة. من أين أتت؟

فضلا عن ضباط كبار تمكّنوا من الهرب الى اليونان واختفاء آخرين، وإضافة الى قائدي الفيلق الأول والفيلق الثالث وكبير مساعدي أردوغان للشؤون العسكرية والمخطط للانقلاب العقيد محرم كوسا المستشار القانوني لرئيس الأركان، اعتقلت السلطات اكثر من 100 برتبة جنرال ابرزهم... العميد مراد شيرازي رئيس دائرة الاستخبارات في القوات البحرية، الفريق مصطفى اوزسوي رئيس دائرة الاستخبارات في القوات المسلحة، الفريق أول اكين اوزتورك – قائد سلاح الجو السابق وعضو مجلس الشورى العسكري وهو أحد المتهمين الرئيسيين بالتخطيط للانقلاب، العميد محمد عارف بازرلي اوغلو قائد سلاح الدفاع الجوي، العميد كمال موتلوم رئيس دائرة الدفاع الجوي، العميد آدم بودورلو اوغلو من قيادة القوات البرية، العميد محي الدين ارغن من قيادة القوات البحرية.

الأخبار الأولية قالت باعتقال ثلث كبار الضباط لمشاركتهم في الانقلاب، وإذا كان هذا العدد الكبير من كبار الضباط هم قادة الانقلاب... فمن أفشله بتلك السرعة؟

الروايات

الرواية الأولى: تقول الرواية بأنّ قيادة الجيش علمت بالانقلاب الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة، ايّ قبل تسع ساعات من بدء التنفيذ المقرّر الساعة الواحدة صباح يوم السبت، وقاموا بإبلاغ الرئيس المتواجد في منتجع سياحي على بحر مرمرة. وعندما علم الانقلابيون بالأمر بدأوا بتنفيذ المخطط المرسوم الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة. لماذا لم يقم الجيش بعملية استباقية لإجهاض الانقلاب وتجنب سفك الدماء؟ ولماذا تمّ إبلاغ أردوغان بوقت قصير قبل استهداف الفندق حيث كان يقضي إجازته؟ ولماذا استهدف الانقلابيون القصر الرئاسي؟ الرواية ضعيفة.

الرواية الثانية: قرّر أردوغان المواجهة ولو كلفه ذلك حياته. هدّد باقتحام القاعدة الجوية «أنجرليك» حيث مخزون نووي أميركي والسيطرة عليها، فوافق الأميركيون على مضض السماح للقوات التركية باقتحام الجزء التركي من القاعدة واعتقال قائد القاعدة الجنرال التركي بكر أرجان فان وكلّ الانقلابيين الذين تقول الرواية انّ معظمهم كانوا في القاعدة. الشيء المؤكد في الرواية انّ الولايات المتحدة كان لها يد في الانقلاب لأكثر من سبب سنأتي على ذكرها في التحليل.

الرواية الثالثة: فجأة ظهر أردوغان ليوجه نداء للشعب التركي عبر محطة «سي ان ان» التركية بالنزول الى الشوارع لصدّ الانقلابيين. لبّى المئات وربما الآلاف النداء، بعضهم مسلح بالسكاكين والسواطير والقضبان الحديدية، ونشرت بعض المواقع فيديو لمقتل أحد الجنود ذبحاً على أيدي مؤيدي اردوغان الإسلاميين ثم قطعوا رأسه، نسخة تركية عن «داعش» و«النصرة».

على العموم، لا يصدق عاقل انّ بضع مئات أفشلوا انقلاباً بهذا الحجم.

ماذا بعد؟

تعرّض اردوغان ليلة 16 تموز/ يوليو لانتكاسة لكنه خرج سليماً وأقوى مما كان عليه قبل الانقلاب، وبات بطلاً في نظر مؤيديه وفي نظر الرافضين لعودة مسلسل الانقلابات التي سبق لتركيا ان عانت منه على مدى عقود. حتى الدول التي اختلفت معه بسبب سياساته الإقليمية، كإيران وروسيا مثلاً، أدانت الانقلاب لأنها ترفض إسقاط حكومات شرعية منتخبة ديمقراطياً. السؤال: هل سيستخدم أردوغان قوّته في الانتقام وتحقيق طموحاته؟

بالتأكيد سيعمل أردوغان على تحقيق هدفين أساسيين:

الهدف الأول تطهير المؤسسات: من المعروف عن أردوغان نهجه التصادمي وميوله التسلطية وروحه الانتقامية، لذلك من اللحظة الاولى أثيرت مخاوف ان يوظف الانقلاب كدافع ومبرّر للانتقام من خصومه بشكل تعسّفي وعنيف، خصوصاً أتباع عدوّه اللدود الداعية فتح الله غولن زعيم «الكيان الموازي» المزعوم، عسكريين وسياسيين وأكاديميين وإعلاميين. التقارير الأولية الواردة من تركيا تقول انّ عمليات تطهير واسعة على قدم وساق في إطار تهديدات أردوغان بتنظيف مؤسسات الدولة من الورم السرطاني (استخدم اردوغان كلمة فيروس)، وتطال يد الانتقام كلّ الذين يشتبه بولائهم خاصة في الأجهزة الامنية والعسكرية والقضائية والتعليمية.

بعد الانقلاب مباشرة واستباقاً لأيّ تحقيق مع الانقلابيين، بدأت القوات المسلحة تنفيذ أوامر اردوغان بحملة اعتقالات واسعة. في اسطنبول وحدها تمّ اعتقال مئات العسكريين ورجال الشرطة ومدرّسين وأساتذة جامعيين بتهمة الانتماء الى منظمة إرهابية – حركة غولن، ووجهت السلطات التركية الاتهام لأكثر من 100 جنرال بتدبير الانقلاب، وصدرت مذكرات عزل وتوقيف 2745 قاضياً، كما صدرت مذكرات توقيف بحق 140 عضواً في المحكمة العليا. إلغاء عشرات آلاف التصاريح لمدرّسين في التعليم الخاص وعزل المئات من الأساتذة الجامعيين وإبلاغ عمداء الجامعات بالاستقالة. وصل عدد المعتقلين والمطرودين من وظائفهم أكثر من 35 ألفاً، والعدد يتصاعد بشكل ملحوظ بين لحظة وأخرى.

لا تزال عمليات التطهير مستمرة، ومن المؤكد أنها ستطول وستطال كلّ خصوم أردوغان على كافة توجهاتهم، لكن هيبة الجيش التركي الملقب بـ«حامي العلمانية» ستكون الضحية الأبرز، وقياداته المتبقية ستعاني الأمرّين لأنها ستخضع لرقابة متشدّدة.

الهدف الثاني سلطوي: يحلم أردوغان بتغيير دستور البلاد وتحويل الحكم من نظام برلماني الى حكم رئاسي يُمكّنه من الإمساك بكلّ مفاصل مؤسسات الدولة خصوصاً الجيش، لذلك سيعمل على إجراء استفتاء في أسرع وقت ممكن قبل ان تظهر الحقائق المخفية وقبل ان يبدأ وهج «بطولته» بالتلاشي. الوقت ليس في مصلحة أردوغان.

في ظل التعاطف معه على اعتبار انه بطل واجه الانقلابيين وحافظ على الديمقراطية، وفي ظلّ عملية التطهير التي تطال كافة المؤسسات، على الأرجح سينجح في الاستفتاء بنقل السلطة الى رئيس الدولة لإحكام سيطرته وسطوته المطلقة على مؤسسات الدولة «أنا الدولة والدولة أنا».

في التحليل

تاريخ الولايات المتحدة شاهد على تدبير انقلابات عسكرية لإسقاط حكومات منتخبة ديمقراطياً، إذ ليست الديمقراطية او حقوق الإنسان او الحريات العامة هي المعايير التي تستند إليها الولايات المتحدة في اعتبار هذه الحكومة او تلك شرعية ونظامها شرعي، بل المصالح والأنظمة التي تخدم مصالحها. أقرب حليفين وصديقين للولايات المتحدة في المنطقة هما تركيا والسعودية. تركيا دولة ديمقراطية وأردوغان منتخب ديمقراطياً، شئنا او أبينا، اتفقنا معه او اختلفنا بسبب سياسته الإقليمية المتهوّرة، وتدخله الدموي في سورية والعراق، بينما النظام السعودي وهابي ظلامي لا ينتج سوى الإرهاب.

بسبب التحديات المتصاعدة في جنوب شرق آسيا المتمثلة في طموحات الصين في بحر جنوب الصين، تغيّرت الأولويات لدى الولايات المتحدة وقرّرت الابتعاد التدريجي عن مشاكل الشرق الاوسط وعدم الانخراط المباشر في أزمات المنطقة، لكن عليها الحفاظ على أحد الحليفين «السنّيين» – السعودية او تركيا.

بمقارنة سريعة فإنّ «السعودية بعقيدتها الوهابية تنشر الإرهاب في العالم، ليست إيران ولاسورية ولاأيّ دولة أخرى، السعودية هي المنبع» كما يقول السيناتور الأميركي عن ولاية فرجينيا (الحزب الجمهوري) ريتشارد بلاك.

وباستثناء اللوبي الصهيوني والمتصهين الذي يرى السعودية ضمانة لوجود الكيان الصهيوني، باتت في نظر شريحة واسعة من الرأي العام والنخب المثقفة ورجال السياسة «مركز الكون الشيطاني» كما وصفها جون ستانتون، ورجال الدين السعوديين «هم جذور الإرهاب» بحسب وصف توبي هارندن مضيفاً: «المملكة العربية السعودية فرّخت الإرهاب العالمي الجديد»، ودولة شريرة تشكل عبئاً استراتيجياً وأخلاقياً على الولايات المتحدة، وبالتالي خارج الخيار الأميركي.

في المقابل، حيوية الموقع الجغرافي لتركيا في الاستراتيجية الأميركية وعضويتها في حلف الناتو يمنحها الأفضلية. على عكس حاكم السعودية، أردوغان رئيس شرعي يستند في قوته إلى قاعدة شعبية واسعة تضمن وجوده وبقاءه في السلطة، فلا يمكن للولايات المتحدة السيطرة عليه وجعله دمية تحركه كما تشاء على غرار بعض الأنظمة العربية.

الانقلاب جاء في إطار الخلافات حول الخيارات، خاصة تلك المتعلقة بتطبيع العلاقات مع روسيا وإيران لأنّ هذا الخيار التركي لا يتلاءم مع الاستراتيجية الاميركية. على خلفية تلك المتغيّرات في السياسة التركية جاء الانقلاب على الأقلّ بإيحاء او بضوء أخضر أميركي كرسالة تحذيرية «لا يهمّنا من يحكم، بل كيف يحكم.» تسلم أردوغان الرسالة، فهل خضع حتى أفشلت الولايات المتحدة الانقلاب فبات أسير الولايات المتحدة كما هو أسير خوفه وطموحاته؟

الخاتمة

تواجه تركيا مجموعة من الأزمات، الوضع الاقتصادي المتراجع، والمواجهة مع حزب العمال الكردستاني، والإرهاب الذي ارتدّ عليها نتيجة لقصر نظر أردوغان، هل سيرضخ لخيارات الولايات المتحدة الإقليمية أم يقرّر الانكفاء لمعالجة الوضع الداخلي المتأزّم ويذهب في تطبيع العلاقات مع روسيا وإيران الى آخر المطاف؟ ما قاله للرئيس روحاني حول شراكة تامة مع روسيا وإيران لحلّ أزمات المنطقة والعمل على عودة الاستقرار إلى منطقة مشتعلة ساهم هو بإشعالها، لربما يشكل منعطفاً ايجابياً في السياسة الإقليمية.

في اتصال خاص أجراه المركز الدولي للدراسات الأمنية والجيوسياسية مع الدكتور احمد ملّي أستاذ السياسات الدولية في الجامعة اللبنانية، قال: «النظام التركي في مأزق ويتمثل بتزايد خصوم النظام المحليين والإقليميين، وهذه حصيلة السياسات المتهوّرة، ومن شأن ذلك مضاعفة مشاكل النظام في المدى القريب». وسأل د. ملّي: «هل هذه الأعباء ستجبر النظام التركي على الانكفاء الى الداخل للتفرّغ لمشاكله وبالتالي تراجعه عن تدخله في سورية؟»

الأشهر القليلة المقبلة حبلى بالكثير من المتغيّرات والتطورات.

*المركز الدولي للدراسات الأمنية والجيوسياسية
www.cgsgs.com